

تفسير البغوي

وَبَرُّوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا
مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ^ج قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ ^ط سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ
مَّحِيصٍ

قوله عز وجل : (وبرزوا لله جميعا) [أي : خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا جميعا]

(فقال الضعفاء) يعني : الأتباع (للذين استكبروا) أي : تكبروا على الناس وهم القادة

والرؤساء : (إنا كنا لكم تبعا) جمع تابع ، مثل : حرس وحارس (فهل أنتم مغنون)

دافعون (عنا من عذاب الله من شيء) . (قالوا) يعني القادة المتبوعين : (لو هدانا الله

لهديناكم) أي : لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى ، فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة (

سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) مهرب ولا منجاة . قال مقاتل : يقولون في

النار : تعالوا نجزع ، فيجزعون خمسمائة عام ، فلا ينفعهم الجزع ، ثم يقولون : تعالوا

نصبر ، فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم ، فحينئذ يقولون : (سواء علينا أجزعنا أم

صبرنا ما لنا من محيص) . قال محمد بن كعب القرظي بلغني أن أهل النار استغاثوا

بالخزنة . فقال الله تعالى : (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) (غافر - 49) ، فردت الخزنة عليهم : " أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى " ، فردت الخزنة عليهم : (فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) (غافر - 50) فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا : (يا مالك ليقض علينا ربك) (الزخرف - 77) سألو الموت ، فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ستون وثلاثمائة يوما ، واليوم كآلف سنة مما تعدون ، ثم لحظ إليهم بعد الثمانين إنكم ما كثون ، فلما يئسوا مما قبله قال بعضهم لبعض : إنه قد نزل بكم من البلاء ما ترون فهلموا فلنصبر ، فعمل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم ، فأجمعوا على الصبر ، فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : " سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص " ، أي : من منجى . قال : فقام إبليس عند ذلك فخطبهم ، فقال : " إن الله وعدكم وعد الحق " الآية ، فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا : (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) (غافر - 10) قالوا فنادوا الثانية : " فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون " ، فرد عليهم : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) الآيات (السجدة - 12 ، 13) فنادوا الثالثة : (ربنا

أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك واتبع الرسل (إبراهيم 44) ، فرد عليهم : (أولم
تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) الآيات (إبراهيم - 44) ، ثم نادوا الرابعة : (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) فرد عليهم : (أولم نعلمكم ما يتذكر فيه
من تذكر وجاءكم النذير) ، الآية (فاطر - 37) قال : فمكث عليهم ما شاء الله ، ثم
ناداهم : " ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون " ، فلما سمعوا ذلك قالوا : الآن
يرحمنا ، فقالوا عند ذلك : " ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن
عدنا فإننا ظالمون " ، قال عند ذلك : (اخسئوا فيها ولا تكلمون) (المؤمنون 105 - 108)
(فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء عنهم ، فأقبل بعضهم على بعض ينيح بعضهم في وجوه
بعض ، وأطبقت عليهم النار .